كهلٌ
ذو جناحين عظيمين

تأليف

غابرييل غارسيا ماركيز

ترجمة

يوسف إبراهيم عيسى

ESCATOPIA
www escatopia.com
@escatopia

كهلٌ

ذو جناحين عظيمين

تأليف
غابرييل غارسيا ماركيز

ترجمة
يوسف إبراهيم عيسى

Escatopia Publishing

المدير التنفيذي
أحمد صلاح المهدي
رئيس التحرير
معتز حسانين

الكتاب: كهلٌ ذو جناحين عظيمين
المؤلف: غابرييل غارسيا ماركيز
المترجم: يوسف إبراهيم عيسى
الغلاف: أحمد صلاح المهدي
تاريخ: ٢٠١٧/٦/١

All Rights Reserved

Escatopia Publishing
+2 01143503489
www.escatopia.com
contact@escatopia.com

جميع حقوق الترجمة محفوظة

كهلٌ ذو جناحين عظيمين

كان ثالث أيام المطر، عندما قاما بقتل الكثير من سرطانات البحر الموجودة في المنزل، واضطر بلايو لعبور فنائه الرطب ليلقي بهم في البحر. فقد أصيب المولود الجديد بالحمى، وهم يظنون أن ذلك يرجع إلى الرائحة النتنة.

بات العالم حزينًا منذ الثلاثاء. صار البحر والسماء شيئًا رماديًّا كئيبًا، وأمست رمال الشاطئ التي كانت تومض في ليالي مارس كما الضوء المنثور قطعةً من الطمي ومحارًا نتنًا. كان الضوء خافتًا في الليل لدرجة أن بلايو كان يجاهد ليرى ما يجول ويئنُّ في الجزء الخلفي من الفناء حينما كان عائدًا إلى المنزل بعدما ألقى السرطانات في البحر. كان عليه أن يقترب للغاية ليكتشف أنه رجلٌ كبيرٌ في السن، كهلٌ مستلقٍ في الوحل لم يستطع-رغم محاولاته الجاهدة-أن ينهض من مكانه، تعيقه أجنحته الضخمة.

مرعوبًا من هذا الكابوس، ركض بلايو ليحضر زوجته إليسندا التي كانت مشغولة بوضع الكمادات للطفل المريض، ثم أخذها إلى الجزء الخلفي من الفناء. نظرا سويا إلى الجسد الملقى على الأرض في صمتٍ مذهول. كان الرجل يلبس مثل متشرد، لم تغط رأسه الصلعاء سوى عدد قليل من الشعيرات الضعيفة، ولم يبقَ في فمه سوى عدد قليل جدًّا من الأسنان. جَدٌّ كبير السن مبتلٌّ وحالٌ يرثى له، يضع عنه أي ثوب عظمة أو وقار قد لبسه يومًا، أما أجنحته الضخمة، المتسخة والمقتلع نصفها، فنشبت في الوحل. أخذ بلايو وإليسندا ينظران إليه كثيرا ويقتربان أكثر فأكثر حتى ذهبت الغرابة عنهما وأصبح مألوفًا لديهما. ثم أقدما على الحديث إليه، فأجابهما بلهجة مبهمة بصوت بحار أجش. هكذا تجاوز الاثنان الأجنحة المزعجة، واستنتجا ببعض من التعقل أنَّه شخصٌ وحيدٌ بعيدٌ عن وطنه ألقت به سفينة أجنبية حطمتها العاصفة. ومع ذلك، استدعا جارتهما التي تعرف كل شئ عن الحياة والموت لكي تراه. لم تحتج تلك الجارة أكثر من نظرة واحدة لتخبرهما بالخطأ الذي وقعا فيه.

"إنه ملاك" هكذا أخبرتهما الجارة، ثم أردفت "لابد أنه كان آتيًا من أجل الطفل، لكن يبدو أن المطر أطاح بالمسكين لكبر سنه".

في اليوم التالي، علم الجميع أن ملاكًا ذا طبيعة بشرية حبيس في بيت بلايو. عملًا بما أقرته الجارة الحكيمة، بأن الملائكة تأتي في تلك الأوقات من أجل أولئك المنهكين الذين تطلب أرواحهم النجدة والعون، لم يطاوعهما قلبيهما أن يضربوه حتى الموت.

كان بلايو يراقبه طوال الليل من المطبخ، مسلحًا بمضرب الشرطي خاصته، وقبل أن يذهب إلى النوم، سحبه من الوحل وحبسه مع الدجاج في الحظيرة المحاطة بالأسلاك. في منتصف الليل، حينما توقف المطر، كان بلايو وإليسندا يشرعان في قتل المزيد من السرطانات. بعدها بفترة قصيرة، استيقظ الطفل وقد ذهبت عنه الحمى وعادت رغبته في تناول الطعام. دبت الشهامة في نفسيهما، وقررا وضع الملاك على عوامة وزودوه بماء نقي ومؤونة تكفيه ثلاثة أيام، تاركينه لقدره في أعالي البحار. لكن الغريب أنهما حين عادا إلى فناء بيتهما مع ضوء الفجر الأول، وجدا كل جيرانهما أمام حظيرة الدجاج يمرحون مع الملاك ـ بلا أدنى توقير ـ يلقون عليه بعض الأشياء عبر الفتحات بين الأسلاك ليأكلها، كما لو كان حيوان سيرك وليس كائنًا خارقًا.

وصل الأب جونزاجا قبل الساعة السابعة، مفزوعًا على إثر ذلك الخبر الغريب. قرابة ذلك الوقت، تجمع جمهور أقل طيشًا من جمهور الفجر، وأخذوا يسترسلون في تخميناهم بشأن مستقبل الأسير. كان أبسطهم يرى أن ينصب رئيسًا للعالم بأسره، واعتقد آخرون أكثر صرامة أنه يجب إعطائه رتبة جنرال بخمس نجمات لكي ينتصروا في كل حروبهم، بينما آمل الحالمون منهم أن لو كان بالإمكان أن يتزاوج ليضيف إلى الأرض جنسًا من الرجال الحكيمة ذوي الأجنحة يأخذ على عاتقه مسؤولية العالم بأسره. لكن الأب جونزاجا ـ قبل أن يكون كاهنًا ـ كان حطابًا قويا. كان يقف بجوار السلك، وفي غمضة عين، استرجع تعاليمه

المسيحية، ثم طلب منهم أن يفتحوا باب الحظيرة لينظر عن كثب. كان الرجل المسكين يبدو مثل دجاجة ضخمة هرمة وسط الصغار الفاتنين. كان يرقد في ركن من أركان الحظيرة يجفف أجنحته الطليقة في شمس النهار بين قشور الفاكهة وبقايا الفطور الملقى عليه من جمهور الفجر. غريبًا وسط حماقات البشر، رفع عينه الأثرية وأخذ يتمتم بلهجته بشيء ما ردًا على تحية البابا جونزاجا له فور دخوله إلى الحظيرة.

شك راهب الأبرشية في البداية أنه دجال حينما وجده لا يفهم كلام الله أو يعرف حتى كيف يرد تحية عباده. وكلما اقترب اتضح له أكثر معالم بشريته: كانت رائحته لا تحتمل، والجانب الخلفي من جناحيه ملئ بالطفيليات، أما ريشه فقد أساءت إليه الرياح الأرضية أيما إساءة، ولا شيء فيه يرقى إلى منزلة الملائكة السامية.

خرج الأب من الحظيرة وألقى فيهم خطبة موجزة محذرًا كل فضولي منهم من مخاطر التهور. ثم ذكرهم بأن الشيطان لديه ألاعيبه الخاصة التي يتمكن بها من قلوب الغافلين. كانت حجته أنه إذا لم تكن الأجنحة هي الفارق الجوهري بين الصقر والطائرة، فحريٌّ بنا ألا نجعلها علامة الملائكة. مع ذلك، فقد وعد بكتابة خطاب إلى أسقفه ليكتب إلى رئيسه، والذي بدوره يكتب إلى البابا ليتحصل على القرار الفاصل من المحاكم العليا.

نزلت حكمته على قلوب عقيمة. انتشرت أخبار الملاك الحبيس بسرعة جعلت الفناء أشبه بالسوق النشط خلال ساعات قليلة واضطرا لاستدعاء العساكر ذوي الحراب لتشتيت الجمع الذي كان على وشك الانقضاض على البيت. أما إليسندا، فقد التوى عمودها الفقري من كنس قمامة هذا الجمع المحتشد، ثم أتتها فكرة! أن يحيطا الفناء بسياج، ومن يريد مشاهدة الملاك يجب عليه دفع خمسة سنتات.

أتى الفضوليون من كل حدب وصوب. بل سافر كرنفال صوب المكان، معهم أكروباتي يطير ويحوم حول الناس، لكن لم يرعه أحدٌ اهتمامًا فلم تكن له أجنحة ملاك، بل كانت أشبه بأجنحة خفاش فضائي. تسابق إليه العجزة المنكوبون بحثًا عن السلامة والصحة: فهذه امرأة فقيرة تعد ضربات قلبها منذ نعومة أظافرها وانتهت منها الأعداد؛ وهذا رجل برتغالي لا يعرف النوم من ضوضاء النجوم المزعجة؛ أما هذا الرجل فيمشي وهو نائم في الليل ليفسد كل عمل انتهى منه وهو مستيقظ؛ وآخرون أقل علة. في غمرة تلك العاصفة التي جعلت العالم يرتعد، كان بلايو وإليسندا سعداء رغم التعب، ففي أقل من أسبوع حشوا غرفهم بالأموال، أما وفود الحجاج التي لا تزال تتوافد على بيتهم، كل منهم ينتظر دوره، فقد تعدت مرمى البصر.

أما الملاك فكان الوحيد الذي لم يأخذ دورًا في مسرحيته. كان يقضي الوقت محاولًا التكيف مع الوضع في هذا العش المؤقت، تربكه حرارة جهنم القادمة من تلك المصابيح الزيتية والشموع

المقدسة الموضوعة على طول السلك المحيط بالحظيرة. في بداية الأمر، حاولوا أن يطعموه بعضًا من كرات النفتالين التي، طبقًا لما تعرفه الجارة الحكيمة، تعتبر الطعام الموصوف للملائكة. لكنه لم يقبل منهم شيئًا، مثلما لم يقبل غذاء الكنيسة الذي أحضرته له طائفة من التائبين، لكنهم لم يكتشفوا أبدًا سبب امتناعه: هل لأنه ملاك؟! أم أنه كهل يسير إلى نهايته لا يأكل إلا عصيدة الباذنجان؟! يبدو أن قوته الخارقة الوحيدة هي الصبر، لا سيما في أيامه الأول، حين أخذ الدجاج ينقره، وحين أخذ هو يبحث عن تلك الطفيليات النجمية التي استعمرت أجنحته، والكسحان ينتفون ريشه يوصلونه بأطرافهم المشلولة. كان أكثرهم رحمةً به الذين يلقونه بالأحجار، يحاولون إجباره على القيام من مكانه حتى يتمكنوا من رؤيته واقفًا. اللهم إلا تلك المرة التي نجحوا في إثارته حينما أحرقوا جانبه بالحديدة التي كانوا يوسمون بها العجول المخصية، لأنهم ظنوا أنه قد مات بعدما لم يحرك ساكنًا لساعات. استيقظ أولًا، أخذ يصخب بلغته التي لا يفهمها أحد والدمع في عينيه، ثم خفق بجناحيه مرتين، كانتا كفيلتين بإحداث عاصفة ترابية وأخرى من روث الدجاج ونوبة من الهلع ربما لم يشهدها العالم قبل. ورغم اعتقاد البعض أن فعله لم يكن ثورة من الغضب وإنما ثورة من الألم، إلا أنهم ـ من بعد ما حدث ـ أصبحوا في شدة الحرص ألا يضايقوه. لأن الأغلب أدرك أنَّ سلبيته لم تكن استسلام بطل، وإنما هدوء يسبق العاصفة.

عكف الأب جونزاجا على تهدئة الأمور وكبح طيش الجمهور بترديد بعض العبارات التي لم يكن يفهم مرادها، انتظارًا لوصول القرار الحاسم بشأن هذا الحبيس. لكن البريد الآتي من روما لم يكن بالجدية الكافية للفصل في الأمر، فقد أمضوا الوقت في استكشاف الرجل: هل له سرة؟ هل تشبه لكنته الآرامية من قريب أو بعيد؟ وكم مرة يستطيع أن يقف بثبات على رأس قلم؟ أم أنه مجرد شخص نرويجي بأجنحة؟ ولولا أنه لابد من وضع نهاية للمأزق الذي وضع فيه هذا الكاهن، لظلت تلك الخطابات الهزلية تغدو وتروح حتى نهاية العالم.

صادف هذا الحدث الاستثنائي وقتها حدثًا كرنفاليًّا آخر، فقد وصل إلى المدينة العرض المتنقل لتلك المرأة التي تحولت إلى عنكبوت بعد عصيانها لوالديها. لم تكن مشاهدة تلك المرأة أيسر بكثير من مشاهدة الملاك وحسب، بل كان مسموحًا أن تسألها ما شئت عن حالتها العبثية، وأن تتفحص ما شئت منها من رأسها حتى أخمص قدميها كي تتيقن تمامًا من حقيقتها المرعبة. كانت رتيلاء مخيفة، جسد كبش ورأس عذراء بائسة. لكن هيئتها الغريبة لم تكن الشيء الأكثر فجاعة، إنما كان شجوها الصادق الذي كانت تسرد به تفاصيل مأساتها. كانت لا تزال طفلة وقتها، حينما تسللت من منزل والديها لتذهب لحفل راقص، وفي طريق عودتها خلال الغابات، بعدما أمضت ليلتها في الرقص دون أن تأخذ الإذن، أحدث رعد مخيف شقًا في السماء نزلت من خلاله صاعقة من الكبريت حولتها إلى عنكبوت. كان غذائها الوحيد

كرات اللحم التي يطعمها إياها بعض الخيّرين. كان جديرًا بمشهد مثل هذا، يعج بصدق إنساني وعظة يقشعر لها البدن؛ أن يطغى دون كثير جهد على مشهد ملاك متغطرس يتعطف بالنظر إلى أولئك البشر. لكن المعجزات المنسوبة إلى الملاك ـ على قلتها ـ أظهرت نوعًا من التشوش العقلي مثل ذلك الأعمى الذي لم يستعيد بصره لكن نبتت له ثلاثة أسنان، والمشلول الذي لا زال لا يستطيع المشي لكنه فاز باليانصيب، وذلك الأبرص الذي نبت عباد الشمس من قرحه الجلدية. لكن تلك المعجزات التي واست أصحابها ـ في الواقع كانت هزلية أكثر ـ أفسدت سمعة الملاك بعدما قضت عليه السيدة المتحولة إلى عنكبوت. زار النوم الأب جونراجا مجددًا بعدما لازمه الأرق، وعاد فناء بلايو مثلما كان عليه في ثالث أيام المطر، خاليًا تمامًا، وعادت السرطانات إلى غرف النوم.

لم تظهر أي علامة للحسرة على أصحاب البيت. ولم يتحسرون؟! فبفضل المال المدخر، بنوا قصرًا من طابقين، به أكثر من بلكونة، وأكثر من حديقة، وشبكة كبيرة لا تسمح بدخول أي من السرطانات، وقضبان حديدية لا يستطيع أي ملاك النفاذ من خلالها. أنشأ بلايو مكانًا لتربية الأرانب قريبًا من المدينة، واستقال من عمله كشرطي للأبد، واشترت أليسندا حذاء من الساتان ذا كعب عالي، وفساتين كثيرة مصنوعة من الحرير القزحي، النوع الذي كانت تلبسه النساء المثيرات في أيام الأحد وقتها. كان الشيء الوحيد الذي لم يلتفت إليه أحد هو حظيرة

الدجاج، حتى في أغلب المرات التي كانوا يسيلون عليها الكريولين ويحرقوا ما تحويه من صمغ شجرة المر، لم يكن ذلك تقديرًا للملاك، وإنما لطرد رائحة الروث النتنة التي كانت تحوم في أرجاء المكان كالشبح، تجعل من البيت الجديد بيتًا قديمًا. في البداية، وقتما كان الطفل يتعلم المشي، كانوا حريصين جدًّا ألا يقترب من الحظيرة، لكن الخوف بدأ يذهب عنهم وأصبحوا أكثر اعتيادًا على الرائحة، وقبل أن يحظى الطفل بسنِّه الثاني، كان قد ذهب إلى داخل الحظيرة ليلعب هناك حيث انفكت أسلاك الحظيرة. لم يكن الملاك أقل تحفظا مع الطفل منه مع بقية البشر، لكنه تحمل الخسة ببراعة تامة، صابرًا كصبر الكلب الذي لم يعرف الحقيقة المرة بعد. وفي لحظة واحدة سقط كلاهما مصابًا بالجدري. لم يستطع الطبيب الذي كان يرى الطفل أن يقاوم إغراء الاستماع إلى نبض قلب الملاك، لكنه سمع كثيرًا من الصفير في قلبه وعديد من الأصوات في كليته، بدا أنه من المستحيل أن يظل على قيد الحياة. رغم ذلك، كان أكثر شيء لفت انتباهه هيئة الأجنحة. بدت طبيعية جدًّا كعضو كامل من أعضاء الجسم البشري حتى أنه أخذ يتساءل دون استيعاب لماذا لا يمتلك كل إنسان أجنحة مثل هذه!

عندما بدأ الطفل يرتاد المدرسة، وكان قد مر بعض الوقت منذ انهيار الحظيرة بفعل الشمس والمطر، كان الملاك يجر نفسه هنا وهناك كشريد يحتضر. كانوا يخرجونه من الغرفة أوقات الكنس، لا يكاد يخرج حتى يجدوه في المطبخ، أصبح يُخيَّل إليهم

أنهم يرونه في أكثر من مكان في نفس اللحظة لدرجة أنه بدأ ينمو بداخلهم اعتقادًا بأنه يتضاعف، أنه كان يستنسخ نفسه في كل أرجاء المنزل، حتى صرخت إليسندا ـ الساخطة والمشوشة جراء ذلك ـ أنها كانت فكرة مروعة، أن تعيش في هذا الجحيم المليء بالملائكة. كان نادرًا ما يأكل وأصبحت عيناه الأثريتان شديدتي الضبابية حتى بات قريبًا جدا من أن يصطدم بما أمامه، عمود أو ما شابه. كان كل ما تبقى له بعض الكانيولات المكشوفة على آخر ما تبقى من ريشه. ألقى بلايو عليه بطانية وأظله بإحسانه وسمح له أن ينام في السقيفة، عندئذ فقط لاحظوا أنه مصابًا بالحمى في الليل، وأخذ يهذي مثل مسن نرويجي بكلمات غير مفهومة، أصابهم الذعر وكانت هذه واحدة من المرات القليلة التي يشعرون فيها هكذا، واعتقدوا أن نهايته قد اقتربت. إنهم لا يعرفون ولا حتى تلك السيدة الحكيمة تعرف كيف يتعاملون مع ملاك ميت.

لكنه لم يتجاوز هذا الشتاء الأسوأ له وفقط، بل بدا عليه التحسن كثيرًا مع بداية الأيام المشمسة. ظل بلا حراك لعدة أيام، يقبع في أبعد ركن من الفناء، حيث لا يراه أحد، وفي بداية ديسمبر بدأ ينمو بعض الريش الضخم والمتصلب على أجنحته، أشبه بريش الفزاعة، والظاهر أنها كانت دلالة أخرى ليست بالجيدة على هرمه. لكن الأكيد أنه كان يعرف السبب وراء تلك التغيرات، لأنه كان حريصًا جدا ألا يلاحظها أحد، ألا يسمع أحد أغانيه البحرية التي كان يرددها تحت القمر. وفي صباح يومٍ ما، كانت

إليسندا تقطع بعض البصل من أجل الغداء، حينما هبت ريح بدا أنها من أعالي البحار على مطبخها، لذلك أسرعت إلى النافذة، هناك حيث التقطت عينها الملاك في أولى محاولاته للطيران. كانوا حمقى حين اعتقدوا أن أظافره أحدثت شقًّا في رقعة الخضروات، وأنه على وشك الإطاحة بالسقيفة نتيجة لخفقانه الأخرق الذي سيسلبه اتزانه وأنه لن يستطيع الحفاظ على تماسكه في الهواء. ولكنه نجح في الارتفاع عن الأرض. تنهدت إليسندا تنهيدة الراحة، ليس راحة نفسها فقط وإنما لأجله أيضًا، حينما رأته يجتاز البيوت الأخيرة، يعيق نفسه بطريقة أو بأخرى، أشبه بنسر أصابته الشيخوخة. استمرت إليسندا في مشاهدته، حتى أثناء تقطيع البصل، وظلت كذلك حتى أصبح من المستحيل لها أن تراه، لأنه لم يعد مصدر إزعاج لها في حياتها بعدُ، وإنما نقطة تخيلية في عرض البحر.

تمت بحمد الله

التعريف بـ Escatopia:

هي منصة ثقافية تسعى لتوفير محتوى عربي فريد، عن طريق ترجمة القصص العالمية، بالإضافة لمجموعة متنوعة من الروايات والقصص القصيرة والمقالات بأقلام مؤسسي المنصة أو المتابعين لها.

قامت المنصة بعقد مسابقة في القصة القصيرة بمناسبة مرور عام على تأسيسها، وشاركت فيها العديد من الأقلام الشابة المهتمة بأدب الفانتازيا والخيال العلمي، وسيصدر قريبًا كتاب ورقي بالأعمال الفائزة بالمسابقة.

الموقع الرسمي:

www.escatopia.com